

الخريج المتخصص والمناهج الأكاديمية في معاهد الفنون الخاصة والرسمية في لبنان

مقدمة

تبرز اليوم ضرورة البحث في المناهج الأكاديمية في المعاهد الفنية اللبنانية الخاصة والرسمية، تحت ضغط الشعور بالحاجة المتزايدة للاطلاع على مستقبل الخريج المسرحي، وذلك بسبب ندرة الدراسات التي اتخذت خريجي معاهد وأقسام الفنون والتمثيل موضوعاً لها، مع العلم أن الكثير من الدراسات والأبحاث والمهرجانات المسرحية^(١) قد تناولت عناصر المسرح: كالنص المسرحي، والخشبة المسرحية وأشكالها، وتناولت أيضاً طبيعة العلاقة مع الجمهور المسرحي، وأشكالها، ومستوياتها، والممثل المسرحي، الذي تم التطرق إليه فقط من جهة التدريب الجسدي، والانفتاح على التقنيات التمثيلية المتنوعة^(٢).

أما الخريج المتخصص (الممثل، والتقني، والمخرج) فلم تتم دراسته، وهو لا يزال خارج دائرة الاهتمام الفعلي، لذلك نحاول في هذا البحث الكشف عن مناهج التدريس في أقسام ومعاهد التمثيل الوطنية والخاصة القائمة في لبنان، وهي خمسة: معهد الدروس المسرحية والسمعية المرئية والسينمائية (I.E.S.A.V)^(٣) التابع

وظفاء حمادي هاشم^(*)

-
- (*) أستاذة في النقد المسرحي في جامعة اليسوعية في بيروت والجامعة اللبنانية (سابقاً).
(١) مهرجان المسرح التجريبي السنوي الذي يعقد في القاهرة، ومهرجان قرطاج السنوي للمسرح، وغيرها من المهرجانات التي تعقد سنوياً في الكويت والبحرين.
(٢) الممثل المسرحي، مجلة المسرح المصرية، عدد ٦٢، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٣٠.
(٣) Institut des Études Scéniques, Audio-Visuelles et cinématographiques I.E.S.A.V.

لجامعة القديس يوسف في بيروت، وقسم فنون الإعلام (Communication Arts) التابع للجامعة اللبنانية الأميركية (L.A.U.)، وقسم التمثيل التابع للجامعة اللبنانية، وقسم المسرح التابع لمركز الإعداد والتدريب في كلية التربية / الجامعة اللبنانية، وقسم التمثيل في الأكاديمية اللبنانية للفنون، (ALBA الألبا).

ونتناول في هذه الدراسة مناهج إعداد الطالب والتطلع إلى تخريجها للفنان المتخصص في المعاهد والأقسام الثلاثة الأولى. أما قسم التمثيل في الألبا وقسم المسرح في كلية التربية، فلن نتطرق إليهما، لأنهما افتتحا حديثاً ولم يخرجاً ممثلين مسرحيين حتى تاريخ إعداد هذه الدراسة.

غاية البحث

تكمن الغاية من هذا البحث في الكشف عن تخصص الطالب الخريج من أقسام ومعاهد الفنون/ممثلاً، مخرجاً/تقنياً، والعمل على تحسين مستواه الفني والأكاديمي في ظل التطورات التقنية وظهور ما يسمى بالفن التكنولوجي.

أهداف البحث

تقوم أهداف هذا البحث على الاطلاع على المناهج التي تدرس في المعاهد الخاصة والرسمية الثلاثة في لبنان، مما سيؤدي حتماً إلى بلورة المنهج الذي يخرج فناً متخصصاً، الأمر الذي يطرح أمامنا تساؤلات متنوعة تسهم في الكشف عن مناهج التعليم في معاهد وأقسام الفنون والتمثيل في لبنان لأن المعاهد بدأت منذ تأسيسها بإعداد ممثل مسرحي، والتي تؤدي إلى تتبع المسار التاريخي لإعداد الممثل في لبنان، فتكشف أولاً عن العوامل التي أسهمت في تأسيس معاهد التمثيل وأقسامه.

ثانياً: تأسيس معاهد الفنون والتمثيل في لبنان.

ثالثاً: الاطلاع على المواد التي وضعت في كل من هذه المعاهد والأقسام.

رابعاً: الاطلاع على إمكانية تعديل المناهج لتحقيق هدف تخريج متخصص، وربط ذلك بالتطورات التقنية الحديثة.

للإجابة على هذه التساؤلات، سنتوقف عند هذه العناوين المذكورة:

بدايات الفن المسرحي، وجود ممثل وفنان شامل و ليس متخصصاً

البدايات:

بدأ الفن المسرحي (الإخراج، والتمثيل، والتأليف المسرحي) في لبنان ابتداء من

منتصف القرن التاسع عشر، بدافع التقليد والإعجاب بما كان هواة المسرح يشاهدونه من عروض كانت تقدمها الفرق المسرحية القادمة من الغرب (فرنسا وإيطاليا). فكان أن بدأ هؤلاء بالتمثيل تبعاً لبعض القواعد التي وضعها الرجل المسرحي اللبناني مارون النقاش في العام ١٨٤٨ لأن التمثيل كان أول عمل فني تلقوه من الغرب، ولأنه لم يكن قد تبلور بعد مفهوم الإخراج أو ظهور مخرج في تلك المرحلة. لذلك بادر الممثلون المؤدون بالكتابة والإخراج والتمثيل الذي كان تبعاً للمسار الحرفي الشعبي المؤلف: متمرناً يأخذ عن معلم، وعصامي يجتهد وينتقي مصادره من هنا وهناك^(٤)، لأنه أيضاً لم تكن قد تبلورت في لبنان بعد في منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، أي نظرية خاصة أو جديدة على مستوى التمثيل والعرض خارج التقاليد الأدائية التمثيلية التي استقرت في مصر (وكان من بين واضعي هذه التقاليد لبنانيون مخرجون وكتاب مثل المخرج المسرحي جورج أبيض الذي درس في باريس على الممثل الفرنسي سيلفان عام ١٩٤٠. وعند عودته إلى مصر ألفت فرقة مسرحية ضمت الممثلين الموهوبين من اللبنانيين والسوريين والمصريين، ومثل الكاتب المسرحي فرح أنطون، والممثل سليمان القرداحي الذي سافر بفرقته إلى تونس لتسهم في تعريف الشعب التونسي على المسرح...)

أولاً - العوامل التي أسهمت في تأسيس معاهد الفنون في لبنان / مقدمة تاريخية:

١ - تصنيف التمثيل كمهنة

أدرك الممثلون والمسرحيون اللبنانيون الذين كانوا يمثلون على خشبة المسرحية المصرية في منتصف القرن التاسع عشر أن التمثيل صار مهنة شاملة (أي تشتمل على مختلف أنواع الفنون، التمثيل، والديكور، والرقص والغناء..) ومعقدة، وهي تحتاج لممثل موهوب ومتخصص يساعده المعلم الجيد على استخدام نفسه وجسده بأفضل طريقة ممكنة، بواسطة إشارات، أو تلميحات معينة تطلق قدرة هذا الممثل على التعبير أو تقوي نقاط الضعف لديه^(٥). لهذا ظهرت ضرورة إعداد الممثل

(٤) بوتيتسفا، تمارا؛ ألف عام وعام على المسرح العربي، ترجمة توفيق المؤذن، بيروت، دار الفارابي، ١٩٩٠، ص. ٢٥٠.

(٥) نجم، محمد يوسف؛ المسرحية في الأدب العربي الحديث، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦، ص. ١٥٥.

وتكوينه في العالم العربي في سياق مدروس إلى حد ما أو في سياق يجعل موهبة الممثل تترافق مع دراسة التمثيل و تستدعي تأسيس معاهد للتمثيل المسرحي.

وبعد تطور التجربة المسرحية في مصر التي أسهم فيها معظم الفنانين اللبنانيين (مثل المخرج اللبناني سليم النقاش الذي انتقل بفرقة إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر)، تضاعفت أيضاً الحاجة إلى تطوير إعداد الممثل و تدريبه على أساليب تمثيلية متنوعة تسهم في تنمية موهبة الممثل وتطويرها «فالممثل يقع في خطأ بالغ باعتقاده أن مواهبه الطبيعية تعفيه من الحاجة إلى الدراسة والتخصص. لذلك لا يجب أن يغفل عن أن العمل في قاعة الدرس هو مجرد تحضير لخشبة المسرح»^(٦).

٢- التأثير باتجاهات التمثيل الغربية

واكب حركة رجال المسرح اللبنانيين، الذين كانوا يعدون الممثلين وفق مفاهيمهم الخاصة، ظهور أصحاب الاتجاهات الفنية الغربية الواقعية والرومنسية والإنجازات المشهدة التي غيرت وجه المسرح، أمثال أدولف آبيا وغوردن كريغ وأندريه أنطوان الذين أسسوا مدارس للتمثيل في بدايات القرن العشرين^(٧).

وبما أن مطلع القرن العشرين كان زمن صعود الإيديولوجيات وانهيار نظريات وتيارات، وبما أنه كان عصر الانفتاح على الغرب لاسيما بعد إرسال البعثات العربية المصرية للدراسة في أوروبا، كان لا بد من تأثر المسرحيين اللبنانيين والعرب بالفرق الأجنبية (كالفرق الإيطالية والكوميدي فرنسيين) التي زارت مصر ولبنان، وبأساليب التمثيلية الحديثة التي تعرفوا إليها من مؤسسات الإعداد التي أقيمت في مصر، وشكلت حلقات مداولة وتبادل تجربة وتعلم واختبار: مدارس، مختبرات، مراكز ومحترفات، ستوديوهات، أماكن عاملة على رفع الكفاءة وتفجير القوى وإنضاج الأفكار، وإعداد ممثل جديد^(٨). وقد نشأت هذه المؤسسات كما يقول كروشياني: «بهدف فتح آفاق جديدة أمام مستقبل المسرح، ومن أجل منحه مستقبلاً مضموناً و متماسكاً»^(٩).

(٦) لويس، روبرت؛ نصيحة للمثليين، ترجمة سامي صلاح، مراجعة محسن مصيلحي، القاهرة، أكاديمية الفنون، ٢٠٠٠، ص. ٣٣.

(٧) Corvin, Michel, Dictionnaire Encyclopédique du Théâtre, Paris, Bordas, 1989 - P. 102.

(٨) بوتيتسفا، المرجع السابق، ص. ٢٧٨.

(٩) Cruciani, Fabrizio, Apprentissage, Exemples Occidentaux, Paris, Bordas, 1986, P. 320.

٣- المسرح اللبناني ومحيطه العربي، تأسيس المعاهد للتمثيل فقط

تفاعل المسرح اللبناني، كما أشرنا سابقاً، مع محيطه العربي في الربع الأول من القرن العشرين ومع التراكم المسرحي الكبير الذي نتج من جهود المسرحيين اللبنانيين والسوريين والمصريين، والذي تبلور في سياق عملي عندما شرع المسرحيون والفنانون العرب، بوضع أسس علمية لهذه المهنة عن طريق إنشاء معاهد للفنون المتنوعة: فأنشئ في مصر كونسرفاتوار للفن الدرامي في العام ١٩٣٠، وكان من بين الذين تسلموا إدارته المخرج المسرحي المصري زكي طليمات. تضمنت مناهج هذا الكونسرفاتوار الكثير من مواد الاختصاص المسرحي منها: تاريخ الأدب العربي، واللغة الفرنسية، والإلقاء المسرحي، وتاريخ المسرح العالمي والدراما الذي كان يدرسه طه حسين، والغناء، والرقص، والديكور، والإضاءة، والماكياج. وكان أغلبها ذا مرجعية مسرحية وفنية غربية شكلت هي نفسها أساساً للمناهج التي وضعت في ما بعد في المعاهد المسرحية السورية واللبنانية وغيرها من المعاهد العربية^(١٠). الملاحظ أن هذه المناهج كانت تركز على طريقة معينة في الأداء لا تخرج عن الفهم السائد عن التمثيل في تلك المرحلة، الإلقاء والنطق المفخم، ولم تتطرق تلك المواد لموضوع الإخراج، أو التخصص.

وفي العام ١٩٤٤، أنشئ المعهد العالي لفن التمثيل في القاهرة، واحتوى على ثلاث كليات: التمثيل، والنقد المسرحي، والتكنيك المسرحي. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكونسرفاتوار لم يطل به الأمد أكثر من سنة، لأن الدراسة المختلطة للشباب والفتيات في مصر أثارت سخط الدوائر الدينية واحتجاجها. وفي العام نفسه، أنشأ المعهد العالي للفنون المسرحية في الكويت وترأسه زكي طليمات^(١١).

وفي العراق أسس أول قسم للمسرح تابع لمعهد الفنون الجميلة في بغداد، وكان يهدف لتربية الممثل ولتحضير الكوادر المسرحية (مخرج، ومؤلف...). كما عملت الدولة في تونس، على تأسيس معهد للمسرح ترأسه الباحث المسرحي محمد عزيزه عام ١٩٥٩، وقد تزامن تأسيس هذا المعهد في تونس مع تأسيس الكونسرفاتوار الوطني للموسيقى والرقص^(١٢).

(١٠) بوتيتسفا، المرجع السابق، ص. ٢٧٧.

(١١) المرجع نفسه، ص. ٢٧٧.

(١٢) المرجع نفسه، ص. ٢٧٦.

نلاحظ إذن أن المعلومات الواردة عن المناهج لم تشر إلى مادة للاختصاص في مجال محدد: كالتمثيل، أو الإخراج...

١- تأسيس معاهد التمثيل في لبنان

بدأت فكرة تأسيس معاهد التمثيل في لبنان نتيجة الاحتكاك والتفاعل المتواصلين بين المسرحيين اللبنانيين والمصريين منذ منتصف القرن التاسع وبدايات القرن العشرين، وصولاً إلى الأربعينات منه. وظهرت فعالية هذا الاحتكاك في الأعمال المسرحية المشتركة التي قام بها اللبنانيون والمصريون على خشبة المصرية، وفي اطلاع المسرحيين اللبنانيين على الاتجاهات التمثيلية الجديدة التي تعرف عليها المسرحيون المصريون، عن طريق البعثات للخارج التي بدأت في مصر خلال منتصف القرن التاسع عشر (منذ عهد محمد علي باشا وصولاً إلى عهد اسماعيل باشا، وقد أصر هذا الأخير على افتتاح دار الأوبرا في القاهرة بـ «أوبرا عايدة» التي ألفها الموسيقي الإيطالي فردي) (١٣). وظهرت بدايات هذا التأسيس في لبنان مع:

أ - معهد الزهراء

ظهر معهد الزهراء لتعليم التمثيل في مدينة «طرابلس». وأنشأه (عبدالله الحسيني) عام ١٩٤٢ بناء على علم وخبر رسميين. وكان الحسيني قد ذهب إلى مصر ومثل في أفلام مشهورة (١٤) درّس هذا المعهد بعض أوائل ممثلي التلفزيون والمسرح الطرابلسيين أمثال (ماجد أفيوني وغيره).

ب - معهد التمثيل الحديث

تشكلت في مرحلة الستينات حالة ثقافية متطورة ومتنوعة بسبب انفتاح المؤسسات اللبنانية الثقافية على الثقافة الغربية الأوروبية. وانجلت مظاهر هذه الحالة في المسرح بتأسيس «معهد التمثيل الحديث» عام ١٩٦١ (بالتنسيق مع لجنة المسرح العربي في مهرجانات بعلبك وكانت تترأسها سعاد نجار) من قبل المخرج المسرحي اللبناني منير أبو دبس الذي اطلع في فرنسا على الاتجاهات الحديثة في التمثيل المسرحي، وذلك بهدف «إعطاء نفس جديد للمسرح في لبنان، وتحقيق انطلاقة

(١٣) المرجع نفسه ص. ١٣٩.

(١٤) تاريخ العرب والعالم، عدد خاص بطرابلس، السنة ١٣، العدد ١٤٢، آذار - نيسان ١٩٩٣، ص. ٩٠.

جديدة للنشاط المسرحي تقوم بالدرجة الأولى على إعداد الممثل لأنه بالإمكان إنشاء ما لا يحصى من دور المسرح ومن القاعات المهمة والمؤسسات، ولكن هذا كله أسهل من إعداد ممثل كبير»^(١٥).

وكان منهج «معهد التمثيل الحديث» يتكون من دروس نظرية وعملية اعتمدت على نظريات غربية في الأداء المسرحي، مثل نظريتي ستانيسلافسكي وغروتوفسكي وغيرهما. تدرّب في هذا المعهد المخرج المسرحي اللبناني أنطوان ملتقى أستاذ الفلسفة، ومؤسس قسم التمثيل في معهد الفنون الجميلة، وزوجته لطيفة ملتقى، والمخرج اللبناني ريمون جبارة، والممثل المسرحي والتلفزيوني أنطوان كرباج، والممثلون الآخرون ميشال نبعة، ومادونا غازي، ورضى كبريت، ورضى خوري، وميراي معلوف، ورينيه ديك^(١٦).

ج - المركز الجامعي للدراسات المسرحية

Centre Universitaire d'Études Dramatiques (C.U.E.D)

تتالى تأسيس المحترفات والأندية في لبنان، مثل المركز الجامعي للدراسات المسرحية عام ١٩٦١، الذي تأسس في نطاق «المدرسة العليا للآداب»، وهي كلية جامعية اعتمدت منذ البداية المعايير الفنية التي تدور في دائرة فرانكوفونية جامعية. ومن طلاب المركز: جلال خوري، وشريف خزندار، وروجيه عساف، وأندرية بركوف. وكان معظم هؤلاء الممثلون يعملون في الصحافة^(١٧).

ارتبطت مناهج هذه المعاهد الموجودة في لبنان بالمرجعيات الأوروبية، الفرنسية والانكليزية، وشدت على تخريج ممثل ربطته بمناخها وبلغتها، لذا كان المسرح يقدم إما باللغة الفرنسية وإما باللغة الانكليزية، وكان تدريب الممثل يعتمد على تقنيات وأساليب تقنية غربية.

د - قسم التمثيل / كلية الفنون - الجامعة اللبنانية

بعد ظهور هذه المراكز الفنية الخاصة في لبنان، برزت ضرورة تأسيس معاهد فنية وطنية تسهم في تطوير البحث الدرامي وابتكار أساليب درامية جديدة.

(١٥) السعيد، خالدة؛ الحركة المسرحية في لبنان: ١٩٦٠-١٩٧٥ تجارب وأبعاد، بيروت، لجنة المسرح العربي مهرجانات بعلبك، ١٩٩٨، ص. ٩٢.

(١٦) المرجع نفسه، ص. ٩٢.

(١٧) السعيد، خالدة؛ المرجع السابق، ص. ٩٢.

في عام ١٩٦٥، أنشئ معهد الفنون في الجامعة اللبنانية، وخصص ضمن نطاقه قسم لتدريس التمثيل المسرحي (وسمي بقسم التمثيل انطلاقاً من المناهج التي خصصت لتخريج ممثل فقط) الذي شكل محطة أساسية في تاريخ المسرح اللبناني. وعين أول رئيس قسم له أستاذ الفلسفة آنذاك والمخرج المسرحي أنطوان ملتي، فوضع مع مجموعة من الأساتذة، بشكل مقتضب وعام، بياناً بالمواد وبمحتواها، أغلبها كان يستند إلى المناهج الغربية التي اطلعوا عليها. وحددت مدة الدراسة في هذا القسم بثلاث سنوات، تضاف إليها سنة تحضير مشروع الدبلوم^(١٨).

كما استعان ملتي أيضاً بمناهج المعاهد الأكاديمية التي كانت معتمدة في «حلقة المسرح اللبناني» التي أسسها مع زوجته المحامية المخرجة لطيفة ملتي، ولكن مع إضافة بعض التطوير عليها. نذكر من مواد هذه المناهج الديكور، والإخراج، والماكياج، والإضاءة. أما بالنسبة إلى التمثيل فقد اعتمد مذهباً ستانسلافسكي وبرتولد بريشت^(١٩).

وتضمنت هذه المناهج أيضاً حسب إيلي لحد: «تقنية فوتوغرافية، وتقنية سينمائية، وتمارين صوت، وتجويد، وأداء، وإلقاء، ومونتاج صوت وصورة، وتصوير، وتسجيل، وسينوغرافيا..»^(٢٠)

لعبت هذه المناهج في البداية دوراً مهماً في ترسيخ قسم المسرح في معهد الفنون وفي تكريسه كمركز يرفد الحركة المسرحية اللبنانية بفنانين متخصصين وصار، كما يقول أنطوان ملتي «معيناً لرجال المسرح وحركة المسرح، فالمخرج لم يعد مضطراً إلى أن يصرف وقتاً طويلاً وجهوداً لإعداد ممثليه، بل صار بإمكانه دعوة ممثلين خريجين ومعدّين ولا ينتظرون إلا فرصة للعمل»^(٢١).

وفي عام ١٩٦٦، عين للتدريس في هذا القسم أساتذة مثل منير أبو دبس، وبرج فازليان، وجمال خوري، وشكيب خوري، ولطيفة ملتي، وروجيه عساف،

(١٨) لقاء خاص مع المخرج المسرحي أنطوان ملتي، رئيس قسم التمثيل السابق / الجامعة اللبنانية، معهد الفنون الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢ / ٥ / ٢٠٠٠.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) لقاء خاص مع إيلي لحد، رئيس قسم التمثيل في الجامعة اللبنانية، معهد الفنون الفرع الثاني، الجامعة اللبنانية، ٢ / ٢ / ٢٠٠١.

(٢١) لقاء خاص مع أنطوان ملتي، المصدر السابق.

وريمون جبارة، وغيرهم. وهؤلاء الأساتذة هم مؤسسو الحركة المسرحية في لبنان، وهم الذين يخرجون حالياً الأجيال المسرحية، هذا مع العلم أن أغلبهم قد دخل المسرح من باب الشغف الثقافي، وليس من باب الاختصاص المسرحي (انطوان ملتقى جاء المسرح من تدريس الفلسفة، وجمال خوري من الصحافة الفنية، وروجيه عساف من الطب، ولطيفة شمعون ملتقى جاءت من المحاماة ولكنهم اطلعوا على المسرح في المركز الجامعي، وفي معهد التمثيل الحديث كما ذكرنا سابقاً)^(٢٢). وفي مرحلة الحرب الأهلية اللبنانية، أي في منتصف سبعينات القرن العشرين زاد عدد الأساتذة المدرسين في هذا القسم، وكان منهم من تخصص في معاهد مسرحية أوروبية: إيطالية (رئيف كرم)، وروسية (يعقوب ش دراوي)، ومنهم من لم يدرس في الخارج ولكنه درس المناهج المسرحية الغربية التي اعتمدت في المعاهد الموجودة في لبنان والمذكورة سابقاً. ثم تضاعف عدد الأساتذة في هذا القسم، وأغلبهم هم خريجو قسم التمثيل في معهد الفنون نفسه.

هـ- معهد الفنون المسرحية والسمعية المرئية والسينمائية التابع للجامعة اليسوعية و Institut des Études Scéniques, Audio-Visuelles et Cinématographiques (I.E.S.A.V)

أسس هذا المعهد عام ١٩٨٧ - ١٩٨٨، وتدرس فيه مناهج مسرحية ذات مرجعية غربية وتحديداً فرنسية. تبلغ مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات، تضاف إليها سنة رابعة يحوز خلالها الطالب شهادة الدبلوم، وهي عبارة عن مشروع سينمائي أو مسرحي على أساسه يتم تخريجه. يعتبر هذا المعهد أن الطالب هو «آلة بشرية تعمل من خلال ثلاثة أبعاد: فيزيولوجية، وسيكولوجية، واجتماعية، وتتكون من عدة عوامل: إحساس وتفكير وخيال ومخيلة وجسد، منها ينطلق هذا المعهد من أجل إعداد الممثل، وتنمية الإحساس والتخيل والذاكرة لديه، ومنها ينطلق أيضاً لتطوير تقنية جسده بواسطة تجهيزات ومعدات متطورة تسهم في تهيئته كتقني»^(٢٣).

(٢٢) لقاء مع المخرجة المسرحية لطيفة ملتقى، والأستاذة السابقة في قسم التمثيل /معهد الفنون / الجامعة اللبنانية، بيروت، ٥ / ١٢ / ٢٠٠٠.

(٢٣) ميشال جبر، أستاذ في IESAV، ندوة عن المسرح اللبناني مشاكل وآفاق، إعداد وطفاء حمادي، الناشر النادي الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣، ص. ١٣٥.

و - اختصاص فنون الإعلام (Communication Arts) في قسم الفنون
والإعلام (Arts and Communicaton) التابع للجامعة اللبنانية الأمريكية
(Lebanese American University)

إن قسم «الفنون والإعلام» يتضمن فروعاً عدة من الفنون، بينها «فن الإعلام». وتبعاً لنظام المناهج الأمريكية الذي يشدد على الثقافة العامة قبل الاختصاص، يجب على طلاب هذا القسم، كما على بقية طلاب الجامعة، أن يدرسوا مواد مختلفة، منها اللغات والأدب والتاريخ والفلسفة والعلوم السياسية والاجتماعية وعلم النفس وغيرها، إلى جانب دراستهم المواد الرئيسية التي يختارونها.

طلاب «فن الإعلام» لديهم مواد مشتركة تُعطى لهم جميعاً، بالإضافة إلى مواد اختصاص فرعية داخل اختصاصهم، وكل هذه المواد تدرس من الزاويتين: النظرية والإنتاجية/العملية. فالاختصاصات الفرعية ضمن اختصاص «فن الإعلام» هي: (١) راديو/تلفزيون/فيلم، (٢) مسرح، (٣) الصحافة. والمواد المشتركة هي مواد أولية في كل هذه المجالات المذكورة. فلا يعتبر المسرح قسماً قائماً بذاته، ولا يدرّس كاختصاص مستقل، فمواد المسرح لا تشكل إلا جزءاً من الكل، والتمثيل جزء من هذا الكل، فلا يتخرج الممثل متخصصاً بالتمثيل، بل يشدّد البرنامج على تقنيات فن الإنتاج المسرحي.

هذه التفاصيل تفرّق بين الجامعة اللبنانية الأمريكية من جهة وبين المعهدين الفنيين التابعين للجامعة اللبنانية وجامعة القديس يوسف من جهة أخرى، أما في ما يخص المناهج، فهناك نوع من الاشتراك في بعض الأمور.^(٢٤)

بعد التطرق إلى مناهج التدريس في معاهد الفنون المسرحية وأقسامها في لبنان، نستعرض المواد التي تضمنتها مناهج التدريس في هذه المعاهد، وذلك في محاولة للكشف عن المواد التي تشدد على إعداد الممثل المسرحي.

(٢٤) كنيغو، منى، جريدة الديار، ٢٩/٣/١٩٩٨، ص. ٦.

بعد استعراض المواد التي تدرس في المعاهد والأقسام المسرحية الثلاثة، نلاحظ أن المواد العملية التي تعطى في المعاهد والأقسام الثلاثة تتشابه في مواد تدريب الممثل وإعداده جسدياً، ولكنها تختلف في طريقة إعداد الخريج، وذلك لاستخدامها المواد التي توفر التدريب على التقنيات والتجهيزات المسرحية والسينمائية: فمعهد I.E.S.A.V وقسم المسرح في COMM.ARTS- L.A.U يختلفان عن قسم التمثيل في معهد الفنون في أن طلاب هذا الأخير لا يستطيعون تطبيق ما تلقوه من مواد لأنه يفتقد إلى التجهيزات، وإلى خشبة مسرحية متطورة تتيح عرض كل أنواع المسرح، وأيضاً لأنه يفتقر إلى المؤثرات الضوئية والصوتية التي تعمق معرفته باستخدام الكاميرا مثلاً، أو حزم الإضاءة، أو المؤثرات الصوتية^(٢٨). وتتشابه كذلك المواد النظرية التي تدرّس في المعاهد المذكورة مع فارق في أن مناهج قسم التمثيل في الجامعة اللبنانية لا تتضمن مادة تاريخ المسرح العربي ولا المسرح اللبناني و لا نصوصهما المسرحية، مما يؤثر سلباً على العلاقة مع الجمهور لاسيما عندما ينخرط الممثل الخريج في سوق العمل، لأن دراسة النصوص المسرحية تخوله معرفة المضمون الذي ينبغي أن يعبر عنه في عرضه المسرحي، والذي ينبغي أن يتلاءم مع حاجة جمهوره.

يشير هذا التشابه والتمايز بين المواد المذكورة أعلاه، إلى أن المناهج التي تعتمد في المعاهد والأقسام الثلاثة تخضع لاعتبارات تختلف من معهد أو من قسم إلى آخر: ففي قسم التمثيل/معهد الفنون/الجامعة اللبنانية تركز المناهج على المواد التطبيقية والعملية، وهي تشدد على تقنية الممثل، وعلى تدريبه وإعداده جسدياً، في سياق يفوق في أغلب الأحيان الإعداد التمثيلي للطالب في القسمين الآخرين المذكورين سابقاً: وفي معهد I.E.S.A.V تولى مادة تقنية الجسد أيضاً أهمية كبيرة، ويظهر ذلك من خلال المواد التي ذكرنا، إذ تتشابه هذه المواد مع تلك التي تعتمد المناهج في قسم التمثيل في معهد الفنون، يضاف إلى ذلك أنه معظم الأساتذة أنفسهم يدرسون في هذه المعاهد(روجيه عساف، جلال خوري، ميشال جبر، غازي قهوجي... حسب لائحة أساتذة المعهد)^(٢٩) بينما تختلف المواد التي تدرّس التقنيات^(٣٠). وتوزع مناهج L.A.U. اهتمامها على إعداد الممثل تقنياً أي تدريبه على

(٢٨) لقاء خاص مع إيلي لحد، المصدر السابق.

(٢٩) Annuaire de l'Université Saint-Joseph, p. 734.

(٣٠) لائحة المواد، المرجع نفسه، ص. ١.

استخدام الوسائل التقنية و تعمق معرفته بها ويساعدها في ذلك توفر المسارح المجهزة بأجهزة حديثة ومتطورة، بينما تقل هذه المسارح المجهزة لا بل تنعدم في معهد الفنون^(٣١)، ولكن هذه المناهج تولي تقنية الجسد والأداء التمثيلي أهمية أقل، فيخرج الطالب متخصصاً بالتقنيات وليس ممثلاً مسرحياً.

كما يشدد هذان القسمان على تدريس الإنتاج المسرحي الذي يمهد بدوره لربط التخصص بإنتاج سوق العمل، وليعلم الخريج طريقة التعامل مع شروط الإنتاج التي يخضع لها سوق العمل، لكن مناهج التدريس في قسم التمثيل/معهد الفنون لا تعتمد هذه المادة ولا توليها أهمية على الرغم من الدور الكبير الذي تلعبه في ربط عمل الخريج بسوق العمل، أما التخصص فهو أمر ما زال مفقوداً في المعهدين المذكورين في حين أن قسم التمثيل في الجامعة اللبنانية يخرج ممثلاً متخصصاً، ولا يخرج فنانياً متخصصاً في حقل التقنيات، بينما يتخرج الطالب في المعهدين الآخرين وهو يلم بالمواد إماماً لا يفي بغرض التخصص، أو كما يقول رابليه Rabelais جمع من كل علم بطرف وهذا ما يتنافى مع مقتضيات الفن الحديث الذي يتطلب التخصص.

لأن التخصص المتعمق الطويل والانتماء إلى مؤسسة علمية جامعية حسب جان لوفيجل: «يحققان حضور الممثل على هامش المسرح الاحترافي، من خلال طموحات التخصص الجامعي الفني، ومن خلال حرصه على تجنب الابتذال الذي يتحكم فيه مفهوم الإنتاج التجاري»^(٣٢)، سواء كان ذلك في المسرح الغربي أو في المسرح اللبناني. ويعني ذلك أن الخريج المتخصص في المسرحين الغربي واللبناني سيعمل في مسرح ثقافة متنوعة تجمع بين الفعل المسرحي التقليدي والحداثي وما بعد الحداثي^(٣٣).

أ - مناهج التدريس وشروط التخرج التخصصي

إن قسم التمثيل في معهد الفنون لا يعتمد حتى اليوم منهجاً تعليمياً متطوراً بسبب عدم تعديل المناهج الدراسية، مما يشكل عاملاً مهماً لعدم استجابة المناهج

(٣١) لقاء مع جان داوود، قسم التمثيل، الجامعة اللبنانية، الفرع الثاني، بيروت، ٢ / ٦ / ٢٠٠١.

(٣٢) Le Veugle, Jean, Clés pour le développement, sept années d'éducation populaire au Maroc, Paris, Ed. CUJAS, 1966, P. 6.

(٣٣) حسن المنيعي، المسرح...مرة أخرى، كتاب نصف الشهر، سلسلة شراع، عدد ٤٩، المغرب، طنجة، ١٩٩٩، ص. ٦٨.

لشروط التخرج التخصصي، ويؤكد ذلك جان داوود بقوله: «لا يفوتنا الكلام على أنه حتى اليوم لم يتم أي تعديل للمناهج في قسم المسرح/معهد الفنون، لأن الأمر مرتبط بمجلس الوزراء، فأى تعديل يتم يجب أن يصدر بمرسوم... ولكنني أرى أن التعديل يمكن أن يتم في قسم المسرح شرط أن تظل المادة المعدلة مدرجة ضمن العنوان القديم نفسه، مما يجعل مضمونها منسجماً مع التطورات الحاصلة في العالم. ولكن في بعض الحالات يمكن تعديل المادة، في حال تبني مجلس الجامعة للمشروع، فتفسير عندئذ الأمور باتجاه الغاية المتوخاة. وبذلك يمكن وضع مناهج دراسية تقوم على تطوير الموضوعات الهامة مثل: استخدام الصوت والجسد، ونظريات المسرح وكل ما يتعلق بتدريب الممثل وتهيئته، بحيث يتلاءم مع مقتضيات المسرح المعاصر»^(٣٤).

بالإضافة إلى عدم تعديل المناهج في هذا القسم تحديداً، تبرز مشكلة أخرى وهي «فقدان المناهج إلى التخصص في أحد عناصر الفن المسرحي، إذ يتخرج الطالب من قسم التمثيل /الجامعة اللبنانية ممثلاً، لا مخرجاً سينمائياً، ولا مخرجاً له علاقة بالمجال السمعي / المرئي أو البصري، ولا مؤلفاً، ولا راقصاً، ولا متخصصاً بالمونتاج montage، أو الدوبلاج doublage»^(٣٥).

يختلف الأمر في معهد الفنون السمعية / المرئية I.E.S.A.V، حيث نجد أن وضع المناهج فيه قد انطلق من إدخال الفن التكنولوجي العمل، لذلك تتسم مناهج التدريس فيه وبرامجه بالتطور المستمر، وتفصل ذلك مديرة المعهد إيميه بولس بقولها: «في كل سنة نضيف مواد وطرقاً جديدة للتعليم وفق المتطلبات التي نراها ضرورية. بعد أحد عشر عاماً من البحث اعتقدنا أنه ينبغي تخريج متخصصين، ولكننا وجدنا فيما بعد أنه ليس من الضروري تخريج ممثل أو مخرج فقط، لذلك نحن نشدد اليوم على التعددية في الاختصاص من خلال توفير الثقافة المسرحية، وتزويد الطالب وتأهيله لكي يكون إنساناً مسرحياً مثقفاً، فالأمر بالنسبة إلينا لا يقتصر على حركة الجسد والأداء الجيد فقط، بل هناك فكر يجب تطويره وتنميته لدى الممثل»^(٣٦).

(٣٤) لقاء خاص مع جان داوود، المصدر السابق.

(٣٥) لقاء خاص مع إيلي لحد، المصدر السابق.

(٣٦) إيميه بولس، المسرح الأكاديمي، جريدة الديار، ٢٩/٣/١٩٩٨، ص. ٦.

ب - المناهج والاستجابة لبعض شروط التطور التكنولوجي

إن الانخراط في التطور التكنولوجي يحتاج إلى أمور كثيرة منها تعميق ثقافة الطالب: «فوظيفة المعهد أو الجامعة تكمن برأيي في تعميق ثقافة الطالب في الأدب المسرحي الكلاسيكي، من اليوناني القديم إلى الأدب المعاصر، ومن أهم أعلامه تشيكوف وإيسن وسترنديبرغ وبنتر وبيكيت، امتداداً إلى شكسبير وراسين وكورناتي وموليير وغيرهم من الكتاب المسرحيين الأوروبيين. ويجب على المعهد أو الجامعة أيضاً أن تعرّف الطلاب على النصوص المسرحية العربية واليابانية والصينية والتركية، كما يفترض أن تتضمن المناهج مواد تتعلق بالتراث وبالتقاليد المحلية كالحكواتي ومسرح خيال الظل والعالمية كمسرح الكابوكي ومسرح النو اليابانيين، أو ما شابه ذلك»^(٣٧).

وهذا ما يستدعي إضافة بعض المواد العملية والنظرية على المواد التي تتضمنها مناهج التدريس في المعاهد والأقسام المسرحية في لبنان «لخلق جو فني عريق يتيح للطلاب وللأساتذة ممارسة الفن المسرحي بمستوى إبداعي مميز والمبني على أسس علمية وفنية سليمة، وأيضاً يتيح لهم خلق أو إيجاد في سوق العمل مساحة إبداعية خاصة بهم تتوجه لجمهور يقصد مسرح الثقافة والفكر واللغة الراقية»^(٣٨).

بمعنى آخر، يمكن هذه المناهج أن تخرج ممثلين ورجال مسرح يعون طبيعة العلاقة مع جمهور مثقف نخبوي، يساهم في تشكيل حيز ثقافي مميز في مساحة سوق العمل.

ب - المناهج و الإعداد التقني

بالإضافة إلى الإقتراحات التي قدمت لتعديل بعض المواد في المناهج المسرحية والتي تفضّل خلق مساحة خاصة بالممثل المسرحي الخريج في سوق العمل، تبرز قضية التأهيل والإعداد التقني للطلاب الممثل في أقسام التمثيل التي تسعى للتكيف قدر المستطاع مع شروط سوق العمل، فاعتمدت هذه الأقسام والمعاهد بعض المواد مثل:

(٣٧) لقاء خاص مع جين مقدسي، رئيسة قسم الإنسانيات السابقة في LAU منذ العام ١٩٨٧ - ١٩٩١، بيروت، ٢٠٠١/٦/١٦.

(٣٨) المصدر نفسه.

- تجهيز معهد I.E.S.A.V بالمعدات المتطورة التي تتيح للطلاب إقامة علاقة حية مع الخشبة والسينوغرافيا (المساحة، أو الفضاء المسرحي) لتعويده على التعايش مع هذا الفضاء بجسده وصوته، وعلى إقامة علاقة تفاعل مع جمهوره.

- تفريع هذا المعهد إلى فرعين: فرع السمعي/ المرئي Audio/Visuel والفرع المسرحي، بهدف «تدريب الطالب الممثل على الاختصاص المتداخل بين العمل السينمائي والمسرحي من خلال منهج دراسي يجمع بين تقنية استخدام الكاميرا، وبين التعرف على آلية المونتاج أو الإضاءة وإدارة الإنتاج»^(٣٩).

أما بالنسبة إلى المناهج التي وضعتها L.A.U، فقد صيغت «في السياق الذي يتوافق مع شروط التطور التكنولوجي، بحيث يدرّس الطالب مواد اللغات والحضارات والعلوم الاجتماعية ومادتي الرياضيات والعلوم الطبيعية، ووسائل الاتصال الجماهيرية: الراديو والتلفزيون والمسرح»^(٤٠).

وعن هذا الموضوع يقول نبيل حيدر، نائب رئيس الجامعة: «في هذا المجال، نؤكد أن هذه البرامج تتغير وفقاً لمجالات الفنون: التلفزيون، السينما، مسرح الفودفيل.. فمثلاً إذا رأينا أنه لا ضرورة لدراسة التاريخ والفلسفة كاختصاص نقوم بإلغائها، ونبقي على المواد التي تدخل ضمن الاختصاص على أن تتوافق هذه المواد مع شروط التخصص»^(٤١).

وفي السياق التطبيقي العملي، يرى حيدر: «أن لكل اختصاص مرحلة تدريب ننفذها في نهاية كل عمل، مما يفرض على كل طالب التسجيل للتدريب في مسرح، أو استديو، أو شركة تلفزيونية، وأحياناً تؤمن إدارة الجامعة هذا التسجيل في مرحلة التخرج. هذا ما يميزنا عن سائر المعاهد المسرحية لأننا نقوم بالتدريب على المهنة نفسها، ولأن هناك مرحلة تطبيقية ينبغي إنجازها حتى تمهد لخريجينا تأمين العمل»^(٤٢).

يبدو التشابه واضحاً بين منهجية L.A.U وبين منهجية I.E.S.A.V في ربط المناهج والتخصص في قطاعات التلفزيون والسينما والإذاعة والصحافة.

(٣٩) إيميه بولس، المرجع السابق ص. ٦.

(٤٠) لقاء خاص مع نبيل حيدر، نائب رئيس الجامعة اللبنانية الأميركية، الجامعة اللبنانية الأميركية، ٢٣/٩/٢٠٠٠

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) المصدر نفسه.

يقتصر التركيز في قسم التمثيل في معهد الفنون على تقنية الممثل وعلى الأداء التمثيلي في المسرح الجاد والنوعي دون أن تأخذ بعين الاعتبار التطور التكنولوجي.

الخاتمة

يواجه الممثل خريج قسم الفنون في المعاهد التي ذكرناها، أثناء بحثه عن عمل صعوبات عديدة ترتبط بمواصفات التخصص وبشروط العمل، وبطبيعة العلاقة مع الجمهور، البحث عن المنتجين، الذين في أغلب الأحيان يبحثون عن خريج متخصص مما يفترض إعادة النظر بالعلاقة مع مناهج التدريس الأكاديمي والسعي نحو تعديلها. لذلك رأى بعض العاملين في المسرح وبعض أساتذة المعاهد والأقسام في المعاهد الثلاثة (روجيه عساف، ويعقوب شدرأوي، وموريس معلوف، وسهام ناصر) أن تغيير وضع الخريج كمتخصص يرتبط بالدرجة الأولى بتعديل المناهج، ولو كان قسمي الفنون في L.A.U. وفي I.E.S.A.V. قد بدأ بتعديل مناهجها ولكن هذا التعديل لم يخرج حتى اليوم فناً متخصصاً يمكنه إيجاد عمل يتلاءم مع المستوى النوعي للعمل الفني نوعية.

من هذا المنطلق، يرى جان داوود أن قسم التمثيل في الجامعة اللبنانية «بحاجة إلى إعادة تكوين من منظور أكاديمي حديث، ومن ضمن خطة مستقبلية النظرية، تفترض تطوير هذا القسم، إذ لا ينبغي أن يقتصر دوره على تخريج ممثلين مسرحيين فقط، بل يجب أن يكون معهداً للمسرح والسينما، يعد الممثل ويتابعه، ويدرسه التأليف والإخراج والنقد والدراسات المسرحية العليا و السينوغرافيا وفن الدمى والتلفزيون والإذاعة والسينما. لذلك لا يجب أن يظل مجرد معهد للإعداد، بل من الضروري أن يتحول إلى مختبر لمختلف أنواع الفنون، وإلى مركز تقام فيه دورات تدريبية ومحترفات من مدارس فنية مختلفة، ومن ثم يصير مصدر تفاعل بين الممثل والجمهور وبين رجال المسرح أنفسهم، ومركزاً لتنشيط الحركة المسرحية ولتفعيلها»^(٤٣).

كما تشكل مسألة تعديل المناهج هاجساً مقلقاً لدى أساتذة قسم التمثيل في معهد الفنون، ومنهم إيلي لحود الذي يعتبر «أن المواد النظرية والعملية المعتمدة في مناهج قسم التمثيل / الجامعة اللبنانية تعد الممثل جسدياً وفكرياً، وهي لم تتغير منذ العام ١٩٦٥ حتى اليوم باستثناء بعض المواد القليلة التي عدلت كما ذكرنا، ولكنها لا

(٤٣) لقاء مع جان داوود، المصدر السابق.

تؤهل الخريج لفهم مقتضيات السوق وحاجياته، كإعداد التمثيل التلفزيوني، والإعداد الإذاعي والسينمائي، وكذلك كل ما يطرأ على سوق العمل الذي صار ينحاز إلى كل ما هو بصري في التمثيل التلفزيوني والسينمائي مثلاً، والفيديو كليب. كما أن المعهد ما زال يفتقد إلى تجهيز القاعات وتأثيثها، كتأمين الأجهزة الصوتية، وأجهزة التربية البدنية لمواكبة التطور الذي يطرأ على الإعداد الجسدي للممثل، وما زال يفتقد إلى مكتبات خاصة، ومحترفات، وهو يحتاج إلى تبادل الخبرات مع الجامعات الأخرى المحلية»^(٤٤).

ولكن على الرغم من توفر هذه الشروط في كل من قسمي المسرح في I.E.S.A.V و L.A.U إلا أن وضع الممثل فيهما لا يزال يصطدم بالعوائق نفسها التي يصطدم بها خريج قسم التمثيل/الجامعة اللبنانية، لذلك يمكن الانطلاق من تلك التصورات التي يرتئها العاملون في المسرح لحل مشاكل الممثل الخريج من المعاهد المسرحية اللبنانية.

(٤٤) إيلي لحود، المرجع السابق.